**قسم الفلسفة السنة الدراسية 2023-2024**

**ماستر 1 فلسفة غربية حديثة و معاصرة**

**المقياس: الفكر الجزائري1**

**الأستاذة: شريقي انيسة**

**المحاضرة الثالثة**

**الثائر دوناتوس (Donatus)**

ولد دوناتوس النقريني من أبوين أمازيغين، وهم على الأرجح ممن كانوا يعملون بالزراعة التي اشتهرت بها نقرين القديمة (إحدى المدن الجنوبية لتبسة)، حيث عثر المنقبون مؤخرا على آثار لمخازن ضخمة للزيتون تعود غلى تلك الحقبة. ونظرا لموقع نقرين الجغرافي الذي يربط نوميديا القديمة بقرطاج، والصحراء بسيرتا، فقد حط بها دون شك مبشرين مسيحيين وعابري سبيل من مختلف المناطق والخلفيات الفكرية. ما سمح لدوناتوس أن يحتك بالجميع منذ صغر سنه، فقد أتقن لغة الرومان بالإضافة إلى لغته الكنعانية الفينيقية البونيقية. وقد يكون قرأ أو تأثر في شبابه بمؤلفات المفكرة " بيربيتوا" وهي امرأة غزيرة العلم وقد تركت كتبا كثيرة في اللاهوت، وخاصة وقد ذاع صيت كتابها، perpetua في تلك المناطق من نوميديا، كما قد يكون قرأ مؤلفات المفكر المسيحي passio perpetua.

وبتوقع الباحثين Acta proconsulaire و vita cypriani خاصة كتابي" pontus" بونتيس في تاريخ الكنائس والمسيحية القديمة أن دوناتوس قد اطلع على هذه المؤلفات في شبابه لأنه ما كان لينبغ في العلم ويعرف المسيحية وكل تفاصيلها ويصبح مصلحا لها في تلك البلدة الجنوبية إلا بالإطلاع على أفكار سابقيه من المؤلفين أمثال هؤلاء، إذ أن كل ما نعرفه عن دوناتوس نقله لنا أعداؤه، فقد تم حرق مؤلفات وسيرته بعد القضاء التام على كل أتباعه وما بحوزتهم من وثاق ومدونات.

حين بلغ دوناتوس الثلاثينات من عمره (أي في بداية القرن الرابع ) أصبح أسقفا للكنيسة التي كانت واحدة من كنائس نوميديا على غرار كنيسة churchof case nigraeن قرين secondus of tigisis حاليا ميلة وكان أسقفها أيضا رجلا أمازيغيا ويدعى "سيكنودوس") tigisis حاليا في قسنطينة في الشرق الجزائري مركزا (cirta) وكانت كل هذه الكنائس تتخذ سيرتا وملتقى لها. في حين أن كنيسة قرطاج في الشرق كانت بمثابة المرجع لكل المسيحين في شمال إفريقيا، والأكثر تأثيرا وسلطة والأقرب إلى روما، وكان يترأسها الاسقف الروماني menusrius . " منسوريوس".

لقد رسم المؤرخ الفرنسي : ش.أ. جوليان شخصية الأب دونا فقال : " على امتداد أربعين سنة كان هذا المصارع الرهيب بارزا على الأحداث، ومن غير شك فإن التطور السريع للدوناتية يعود الفضل في تحقيقه له . كانت تتجمع في شخصيته سائر عناصر القائد والمنظم الاصيل والمستقيم، والعقادي، والخطيب والمفوه والكاتب الصلب، والمدرب والمكون للرجال، كان قاسيا على نفسه مثلما هو على الآخرين. كان أنوفا شرس الطبع، كان يفرض المواقف على أساقفته الذين كانوا يعبدونه كالإله" .

2 – الإطار التاريخي للدوناتية ( عن الدكتور ابراهيم سعدي)

بعث المسيح وقاومه اليهود، وبعد انتقاله إلى رحمة الله، استمرت المسيحية بين أحضان اليهودية جتى سنة 65 م، ومنذ هذا التاريخ قرر رهبان المسيحية الإنفصال عن اليهودية، وأعلنوا أنهم تجاوزوها . دحلت المسيحية روما سنة 61 م. حاربها الرومان لأنهم كانوا يعتبرونها امتدادا لليهودية، والتي كانت محاربة من الرومان. يقول زكي شنودة: " في عهد نيرون سلط عليهم أقسى أنواع العذاب سنة 68 م، فقد ألقى بهم للوحوش الضارية، وأمر فطليت أجسام بعضهم بالقار وأشعلت لتكون مصابيح بعض الإحتفالات التي كان يقيمها نيرون في حدائق قصره". كانوا يتعبرون بروما من الأنجاس فلا يسمح لهم بدخول الحمامات والأماكن العامة .

مات المسيح شهيدا واضطهد أتباعه فاضطروا للتخفي، واختفى الإنجيل الأصلي، وقام بعد عقود بعض أتباع المسيح بتحرير أناجيل مستوحاة من ذكريات عن طبيعة المسيح وأقواله، وكتبوها بغير لغة المسيح التي كانت اللغة الآرامية وهي إحدى اللغات العروبية القديمة . يقول ويل ديورنت في كتابه قصة الحضارة : " صارت المسيحية في تعاليم بولص نصف يونانية، واضحت في المذهب الكاثوليكي نصف رومانية ... كان بولس رومانيا".

ويعتبر بولس المولود باليونان هو واضع اللاهوت المسيحي، ومن كتاباته انحدر جل الأناجيل التي حررت في نهاية القرن الأول الميلادي.. فالكاثوليكية نمت في بيئة الوثنية الأوروبية فجاءت عقيدتها غير مؤسسة على التوحيد، بينما نشأت المذاهب الشرقية ومنها الدوناتية في بيئة الأديان ولهذا جاءت عقيدتها مؤسسة على التوحيد أي تؤمن بالطبيعة الواحدة للمسيح .

يبدو أن المسيحية دخلت المغرب عن طريق مصر والمشرق منذ القرن الأول وما يسجله المؤرخون أنها دخلت المغرب في القرن الثاني اليملادي، وارتبط دخولها باضطهاد المسيحيين من الأباطرة الرومان الذين كانوا يعتبرون أنفسهم آلهة يعبدون، وبلغ أوج هذا الإضطهاد بالمغرب بين 295 م و 299 م في عهد الإمبراطور دقلديانوس Deocletion حيث سقط الكثير من النوميديين والموريطانيين أي المغاربة، شهداء في أثناء محاكم التفتيش التي نصبها الإمبراطور دقلديانوس(284 .305)، فقد أمر بهد الكنائس المسيحية، وإعدام كتبها المقدسة وآثار آبائها، وقرر اعتبار المسيحيين مدنسين تسقط حقوقهم المدنية، وأمر بإلقاء القبض على الكهان وسائر رجال الدين وتجريعهم العذاب ألوانا. ونفذت هذه التعليمات في جميع المناطق، فامتلأت السجون بالمسيحيين واستشهد الكثيرون بعد أن مزقت أجسادهم بالسياط والمخالب الحديدية، أو أحرقت بالنار، وقد سمي عصره عصر الشهداء".

صدر مرسوم 304 الذي فرض تفتيشا عام لصالح الآلهة الرومانية الوثنية، وأجبر رجال الدين والأساقفة على تطبيق عملية التفتيش والتبليغ عن المسيحيين وحرق كتبهم، فمن عصا الأمر قتل مثل ما حدث للأسقف مارسولوس Marculus الذي رفض أمر التفتيش فنقل إلى قرطاج وأعدم . وقد اكتشف العالم الفرنسي الأثاري بيير كورسيل في رأس الكلب كنيسة دوناتية مطمورة، وتعاون رجال الدين العديدون مع محاكم التفتيش فاعتبروا من الشعب المغربي خونة للمسيحية.

وعندما مات الإمبراطور الظالم وجاء بعده الإمبراطور قسطنطين اصدر مراسيم التسامح سنة 307 م وعندما عين على رأس أسقفية قرطاج، التي تشرف على المسيحية في كل المغرب، الأسقف كوسيليوس Caecillius الذي تعاون مع محاكم التفتيش، اعترض الأساقفة النوميديون أن يتولى قيادة المسيحية بالمغرب خائن للمسيحية، وتمكن الأب دونا من جمع سبعين أسقفا نوميديا قدموا عريضة رف تعيين الأسقف الخائن، وتأسس نتيجة لذلك المذهب الدوناتي، كان النوميديون يقولون بأنهم يمثلون الشهداء والجهة التي تعارضهم تمثل خونة المسيحية . وتجمع بأوروبا ثمانية عشر أسقفا إيطاليا وغاليا ورفظوا طلب النوميديين وأصروا على تعيين الاسقف الخائن كوسيليوس، ورفعت المسألة للإمبراطور قسطنطين فثبّت الخائن في منصبه بقرطاج، وارسل مفتشين لنوميديا فقامت معارضة من مسيحيي نوميديا جوبهت بقمع دموي سقط خلاله العديد من المسأيحيين النوميديين .

ومثلما يقول ش أ جوليان: " وتسبب هذا الموقف من الدولة في انتشار واسع للدوناتية، وتحولت الكنيسة الرسمية المنتصرة إلى هيئة تفتيشية فقامت بطرد الدوناتيين من الكنائس بقوة الجيش التي قتلت العديد منهم" . وأمام صمود الدوناتيين ورفظهم سيطرة الإمبراطورية على الكنيسة الإفريقية، وتحولهم إلى ثورة وطنية اجتماعية اصدر الإمبراطور قسطنطين سنة 317 م أمره باعتبار الدوناتيين خارجين على القانون، امر الجيش بالدخول للمدن والقرى بالأوراس ومصادرة الكنائس الدوناتية وتسليمها للكاثوليك الرسميين، وكانت أشد المواجهات دموية جرت في مدينة باغاي بالأوراس.

3- الإختلاف اللاهوتي واللغوي بين الدوناتية والكاثولكية:

ويختلف المذهب الدوناتي عن الكاثوليكي لاهوتيا، فهو يؤمن بالطبيعة الواحدة للمسيح مثل المذاهب المشرقية المصرية والسورية، ويقول الدكتور شلبي:" الطبيعة الواحدة للمسيح تقول بأن المسيح طبيعة واحدة ومشيئة واحدة، ففي المسيح أقنوم واحد تم بعد الإتحاد بدون اختلاط ولا امتزاج وهو مذهب أقرب إلى التوحيد. أما الكاثوليكية لغويا وثقافيا، فلغة المذهب الدوناتي هي الفينقية أي الكنعانية. فالدوناتيون يصلون في كنائسهم بالفينيقة. توجد بالمغرب الكبير منذ القدم وقبل الإسلام لغة فصحى هي الكنعانية الفينيقة التي تعتبر لغة الحضر والدواوين والعبادات، محاطة بلهجات أمازيغية شفوية قحطانية، وكلاهما ينتميان إلى أروما واحدة هي العروبية، وخير من يوضح هذه المسألة هو المستشرق الفرنسي هنري باسيه H.Basset يقول: " إن اللغة البونيقية لم تختف من المغرب إلا بعد دخول العرب، ومعنى هذا أن هذه اللغة بقيت قائمة هذه المدة بالمغرب سبعة عشر قرنا وهو أمر عظيم، أي أن هذه اللغة استمرت قائمة كلغة فصحى بالمغرب منذ دخول الفينيقيين المغرب في الألف الثانية قبل الميلاد، وحى الفتح الإسلامي ونشر اللغة العربية العدنانية التي خلفت طبيعيا الفينيقية العروبية. ومعنى هذا أن الرومان الذين سيطروا على المغرب منذ 146 ق.م لم يستطيعوا فرض لغتهم وثقافتهم الرومانية على سكان المغرب الأمازيغ، وهذا يؤكد شرقيتهم، بل وعروبيتهم.

وأمام إصرار الدوناتيين على موقهم، وازدياد عقيدتهم صلابة في إطار وطنية تتوق للتحرر من الإستعمار الروماني، وتجاوب الشعب معهم، اضطر الإمبراطور قسطنطين سنة 321 م إلى إصدار تعليمات بوقف عمليات القمع ضد الدوناتيين الذين رفعوا شعار (نحن أبناء الشهداء ي مواجهة أبناء الخونة ) كما أطلق الأب دونا صيحته المشهورة ( لا علاقة للمسيحية بالإمبراطور والإمبراطورية)، الله أرسل المسيح لإنصاف المستضعفين). لكن اعتبار المذهب الدوناتي استمر غير شرعي. وأمام سعبية دونا أمرت اإمبراطورية بإلقاء القبض عليه ونقله إلى إسبانيا، حيث سجن في سجون الرومان ومات هناك بالسجن سنة 355م.